الفصل الأول

حول الفتنة الكبرى

الفصل الأول
حول الفتنـــة الكبرى

أولاً : بداية العداء العنصري لدولة الإسلام :

لقد جاء الإسلام ، وأعلن منذ البداية أنه رسالة ودعوة عامة للبشرية كلها ، وهو يمثل التشريع العالمي للبشرية فى أرقى مراحل العالمية ، فهو الدين الخاتم ، ومحمد ﷺ خاتم الرسل ، والقرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة للبشرية إلى قيام الساعة، والتشريع الإسلامي رحمة مهداة لكافة البشر ، ونادى بالمساواة والعدل بين الناس ، ونادى بحرية العقيدة والحفاظ على هذه الحرية وحمايتها ، فلا إكراه في الدين .

لذا نجد الإسلام في حضارته وفي قيادته يختلف تماماً عما سبقه وعما جاء بعده ليقوم بدور القيادة الحضارية للبشر .

فالمسلمون في توسعهم الحضاري والقيادي يهدفون إلى حمل الدعوة الإسلامية إلى شتى بقاع الأرض لنشر التوحيد ، وغايتهم إقامة شريعة الإسلام بما تحمله من خصائص إنسانية كالعدل والمساواة والحرية .. وهي لا تفرق بين البشر بسبب اللون ، أو الدين ، أو الجنس ، أو .... إلخ.

فالمسلمون عند فتحهم للدول لا يعمدون لسلب خيراتها وثرواتها ، أو نقلها إلى مواطنهم الأصلية التي خرجوا منها بل يقيمون فيها مجتمعات ، ويحدثون فيها ما يستطيعون من رقي وتطوير وإعمار،ولننظر إلى الأندلس ودول شرق أسيا وإفريقيا، وغيرها عندما كانت القيادة للإسلام فلقد كانت بعضها منارات للبشرية جمعاء لا فرق بينها وبين البلاد العربية التي انطلق منها العرب بالإسلام ،

بل كانت تتفوق على كثير منها، وكان النظام والشرع – القانون – على الجميع ، والجميع سواء .

ولننظر لغير الحضارة الإسلامية سواء السابقة على الإسلام أو تلك التي تولت القيادة بعد الإسلام ، وعلى سبيل المثال :

فالاستعمار الأوربي الحديث ـ قائد الحضارة الحديثة ـ يبذل كل طاقته للاستيلاء على خيرات الشعوب ونهبها ـ في أكبر عملية سطو عرفتها البشرية في التاريخ ـ ، ونقلها إلى موطنه الأصلي ، والحرص على إبقائها متخلفة عنه محتاجة إليه ، ولا يعمد إلى إدخال شيء من الحضارة إلا ما يحقق مصلحته الخاصة .(١) .

وفي تطبيقه للقانون نجد العنصرية ؛ فالبلاد الخاضعة له ومواطنيها ليست كموطنه وليست كمواطنيه ، وهذا الأمر لا يمكن إنكاره . ولننظر إلى أسبانيا ، والبرتغال ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، وألمانيا . . ولننظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية الآن . نفس النظرة الاستعلائية ، والقوانين العنصرية ، والتمييز بين البشر ، والكيل بمكيلين ، وفرض الهيمنة ، والإرهاب ، واستخدام القوة ، للسيطرة على ثروات الآخرين' . . . . .إلخ .

ويمثل ذلك جوهر الفارق بين الإسلام وما عداه ؛ فالإسلام في دعوته منذ انطلاقها يهدف إلى إقامة حضارة إنسانية عالمية تجمع البشر في ظل شرع أو قانون واحد ، والدعوة الإسلامية دعوة عالمية للبشر كافة ، وهذه الدعوة هي غاية الإسلام العظمى ، وسلاحها " الجهاد " للقضاء على العنصرية وحماية حرية الاعتقاد ، وللحفاظ على البشرية وما وصلت إليه من تقدم دونما إكراه أو تمييز أو تعصب بل عدالة ومساواة وحرية .

---

(١) وحسب إحدى الدراسات فإن ما نهبته إنجلترا من الهند وحدها يفوق كل ما أنتجته إنجلترا إبان ثورتها الصناعية . انظر " من سيحكم العالم" فايز عزيز محمد .

وعلى العكس مما يردد ، أو يعتقد البعض أن الإسلام انتشر بالسيف ، أو بوسائل ترغيب لتحصيل مكاسب ، فإننا نجد الإسلام يضع شروطاً لمن يريد أن يعتنقه تمثل صعوبة في نشر الدعوة الإسلامية وفي قبولها .

ويضع الإسلام شرطاً قاسياً لمن أراد الدخول فيه حيث اشترط على من يرتد عنه أن يقام عليه حد القتل إذا رفض الاستتابة ، وكما نرى فهذا شرط شديد الصعوبة لا أعرف له نظيراً ، وهو يجعل من يريد أن يعتنق الإسلام ويعلن إسلامه أن يكون ذلك بقلبه وبعقله معاً .

وهناك شروطاً أخرى وهي تكليف على كل مسلم حيث يلتزم بالقيام بفروض وشروط العقيدة والشريعة الإسلامية طائعا مختاراً لبعضها ، ومتقبلا لما تنص عليه من فروض وحدود وعقوبات .

وكما نرى فالإسلام يضع شروطاً شديدة ، وكثيرة لمن يريد أن يعتنقه تجعله يفكر كثيراً قبل إعلان إسلامه .

وقد وعي المسلمون هذه الحقيقة منذ بداية حملهم الدعوة الإسلامية ، والتي هي الغاية والهدف الأسمى للإسلام ، والإسلام لا يجبر أحداً على اعتناقه بل لا يكون مسلماً إلا من آمن بقلبه قبل أن ينطق لسانه . قال تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة :٢٥٦] .

قال تعالى : ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾.

[الشورى : ٤٨] .

لذلك فقد كان مقدراً للإسلام منذ البداية أن يدخل في صراع عنيف مع مخالفيه من أصحاب النظرة العنصرية ، وممن يهدفون إلى تفضيل أنفسهم ، أو تفضيل جنس ما أو شعب ما ؛ فالإسلام جاء ليلغي العنصرية بكافة أشكالها ، وليقيم ميزان المساواة والعدل ، فالبشر متساوون،كلهم سواء ، أمام شريعة

الإسلام ، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود ،ولا فضل لصاحب دين على آخر، ومنذ اللحظة الأولى أعلن الرسول ﷺ عالمية الدعوة الإسلامية، وأعلن أهم خصائصها ـ العالمية ـ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ولم يخص من آمن به بل رحمته شملت الجميع .

فالدين الإسلامي أول خصائصه العالمية، أم سائر النظم، والعقائد الأخرى فأول خصائصها والملازمة لها أنها خاصة بجماعة من البشر دون غيرهم ، أو هي دعوى عنصرية ، وهذه نقطة الصراع الحقيقي ، ولا شك أن البشرية في مرحلة العولمة لا تصلح إلا بتشريع عالمي، ولاملاذ ولا ملجأ لها إلا الإسلام، وشريعته .

والبداية للصراع الدموي العنصري ضد الإسلام تتمثل في مقتل الخليفة الثاني للدولة الإسلامية عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبو لؤلؤة المجوسي الذي يمثل النظرة العنصرية القاصرة ضد عالمية الإسلام ومساواته [١] .

وقد فشلت هذه المحاولة عندما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين ، وسار بالإسلام نحو غايته ، ونحو تطبيق أوسع لهذه العالمية ، وفي هذه اللحظة أدركت هذه القوى العنصرية والمعادية للإسلام ـ والتي أخذت تتكون ـ أنها لن تقضي على الإسلام بمجرد قتل خليفة المسلمين كما كانت تظن، بل يجب التدبير للقضاء على الدعوة الإسلامية نفسها، ومثل هذه العناصر التي ادعت الإسلام ظاهريًا ورفضت مساواته وعدالته أخذت تعد العدة مستغلة كل ما توفر

---

(١) – والفرس ـ إيران حاليا – يحتفلون بيوم مقتل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، ويعدونه عيداً ينبغي الاحتفال به ، ولقبوا أبا لؤلؤة المجوسي بـ " بابا شجاع الدين وله مقام في كاشان وهو مزار للشيعة . انظر : الأنوار النعمانية للجزائري (١ / ١٠٨) فصل: نور سماوي يكف عن ثواب قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

لديها من طاقات لهدم الإسلام ، ولم تفلح خططها إلا في البلاد التي اعتنقت الإسلام حديثًا ولا يزال أهلها بعيدين عن حقائق الدعوة الإسلامية في هذه الحقبة في مصر، وفي مناطق متفرقة من العراق , وقد تبعهم البعض عن جهل أو عن قصد، وكانت بداية العداء السافر للإسلام للمرة الثانية باستخدام هؤلاء ، وهم حديثي العهد بالإسلام ، وكان خروجهم على الجماعة الإسلامية ، وتهديد خليفة المسلمين وصهر الرسول ﷺ ذي النورين رضي الله عنه، ثم قتله في عاصمة الخلافة الإسلامية في مدينة الرسول ﷺ ، والتي شهدت قيام الدولة الإسلامية .

وقد ظن مشعلي هذه الفتنة في تلك الأوقات أنهم يستطيعون النيل من الإسلام ، وأنهم سيهدمون الإسلام ودولته حيث ولدت هذه الدولة ، ولكن كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بما تعلمه من الرسول ﷺ أكبر من هذا التخطيط الشيطاني، وقد تعامل مع هذه الفتنة ، واستطاع أن يوقفها ، وأن يمنع اشتعال نيرانها في مدينة رسول الله ﷺ ، وضحى بنفسه في موقف هو من أعظم المواقف لذي النورين رضي الله عنه[1]،ولنا أن نتخيل مدى الآثار السيئة على الإسلام والمسلمين لو نجح مخطط هؤلاء واشتعلت نيران هذه الفتنة في المدينة المنورة واستعر القتال بين المسلمين فيها في هذه الآونة ؛ لذا سنقف لنتعلم الدرس ، ولنتأمل كيف وعى عثمان بن عفان رضي الله عنه تعاليم الرسول ﷺ وهو يعلم المسلمين كيف يواجهون الفتن ليتغلبوا عليها ويطفئوا نيرانها .

" عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ركب رسول الله ﷺ وأردفني خلفه فقال : **يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع معه أن تقوم من فراشك**

---

(١) وروى الترمذي بسنده عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ : " أَنَّ خُطَبَاءَ قَامَتْ بِالشَّامِ وَفِيهِمْ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ آخِرُهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُرَّةُ بْنُ كَعْبٍ فَقَالَ : لَوْلَا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُمْتُ، وَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ فِي ثَوْبٍ فَقَالَ : هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى .
فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَقُلْتُ: هَذَا؟.
قَالَ : نَعَمْ : " . قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . سنن الترمذي ، ورواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .

إلى مسجدك كيف تصنع ؟، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : **تعفف** .

قال : يا أبا ذر ، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد كيف تصنع ؟، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : **اصبر** .

قال : يا أبا ذر ، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة البيت في الدماء كيف تصنع ؟ .

قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : **أقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابك** ، قلت : فإن لم أترك ، أأخذ سلاحي ؟ .

قال : إذن تشاركهم فيما هم فيه ، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك كي يبوء بإثمه ، وإثمك "(١) .

ويوضح الحديث ثلاث صور للفتنة ، والموقف لكل فتنة ، ولاحظ كيف يتصرف المسلم (٢) .

- ففي فتنة الجوع كان الموقف الصحيح هو التعفف .
- وفي فتنة الموت كان الموقف الصحيح هو الصبر .
- وفي فتنة الاقتتال كان الموقف الصحيح هو عدم المشاركة ، حتى بلغ الأمر أن يقتل المسلم دون أن يدافع عن نفسه ، وإن كان الأصل هو :

قال رسول الله ﷺ : " ... **من قتل دون دمه فهو شهيد** " (٣) .

ولكن الفتنة تقتضي اختيار القتل دون الدفاع عن النفس ، وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه أبو داوود ، وابن ماجة ، وأحمد .

(٢) عن حذيفة قال إياك والفتن لا يشخص لها أحد، فوالله ما شخص منها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن . إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل هذه تشبه مقبلة وتتبين مدبرة ، فإذا رأيتموها فاجتمعوا في بيوتكم واكسروا قسيكم ، واقطعوا أوتاركم ، وغطوا وجوهكم

الراوي : عمارة بن عبد – خلاصة الدرجة : شاهد جيد إن شاء الله تعالى – المحدث : الألباني – المصدر : إرواء الغليل ٨ / ١٠٣ .

(٣) رواه البخاري في باب المظالم .

على أن للفتنة أحكامًا خاصة ، حتى يمكن أن تهدأ ، أو تتوقف .

وهنا يتضح لنا سبب إصرار عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الإحجام عن الدفاع عن نفسه وعن رفضه طلب دخول أهل المدينة - وفيهم معظم الصحابة رضي الله عنهم - في صراع مع هؤلاء والمسلمين الذين قادوهم معهم ، بل وصبره على ذلك حتى قتل في دار الخلافة . وبالتأكيد فقد فهم ذلك عن الرسول ﷺ ، وتنبه إلى وصية الرسول ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه .

روى ابن ماجة ، والترمذي ، والهيثمي ، وأبو زرعة الرازي ، والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ حَدَّثَهُ قَالَ : كَتَبَ مَعِي مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ ، قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا كِتَابَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَتْ :

« يَا بُنَيَّ أَلاَ أُحَدِّثُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ، قُلْتُ : بَلَى .

قَالَتْ : فَإِنِّي كُنْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ يَوْمًا مِنْ ذَاكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، **فَقَالَ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا .**

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَبْعَثُ لَكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : **لَوْ كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُحَدِّثُنَا .**

فَقَالَتْ حَفْصَةُ : **أَلاَ أُرْسِلُ لَكَ إِلَى عُمَرَ . فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : لا .**

ثُمَّ دَعَا رَجُلا، فَسَارَّهُ بِشَيْءٍ ، فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ أَقْبَلَ عُثْمَانُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ : **يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَلَّهُ أَنْ يُقَمِّصَكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ . ثَلَاثَ مِرَارٍ** " وصححه الألباني[1] .

وفي البخاري أيضًا عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ : كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبي ﷺ : **(افتح له**

---

(١) صحيح الجامع ، الألباني . من رواية عائشة " **يا عثمان ! إن الله مقمصك قميصًا ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني** " . خلاصة الدرجة : صحيح . وقال أيضاً في كتاب السُّنَّة : صحيح على شرط مسلم .

وبشره بالجنة) . ففتحت له ، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح ،فقال النبي ﷺ : (**افتح له وبشره بالجنة**) . ففتحت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ، ثم استفتح رجل ، فقال لي : (**افتح له وبشره بالجنة ، على بلوى تصيبه**) . فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ، ثم قال : الله المستعان [١] .

وروى البخاري بسنده عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه حَدَّثَهُمْ : « أن النبي ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : اثبت أُحد ، فإنما عليك نبي وصديق ، وشهيدان » [٢] .

ولما حوصر من قبل البغاة، أرسل عليّ ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم ، وقال لهما : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه" [٣] .

وبعث عدة من أصحاب النبي ﷺ أبناءهم ليمنعوا الناس الدخول على عثمان ، وكان فيمن ذهب للدفاع عنه ، ولزم الباب ابن عم عليّ عبد الله بن عباس ، ولما أمّره ذو النورين في تلك الأيام على الحج قال : و الله يا أمير المؤمنين ! لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج ، فأقسم عليه لينطلقن" [٤] .

وكما اشترك عليّ رضي الله عنه أول الأمر بنفسه في الدفاع عنه"فقد حضر هو بنفسه مراراً وطرد الناس عنه وأنفذ إليه ولديه وابن أخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم " [٥].

"وانعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلاً بيده ولسانه فلم يمكن الدفع" [٦] .

---

(١) الجامع الصحيح . البخاري . درجة الحديث صحيح .
(٢) الجامع الصحيح . البخاري . درجة الحديث صحيح .
(٣) أنساب الاشراف" للبلاذري . ج٥ ص٦٨، ٦٩ ط مصر .
(٤) تاريخ الأمم والملوك . الطبري . أحوال سنة ٣٥ .
(٥) شرح نهج البلاغة . لابن أبي الحديد ج١٠ ص٥٨١ ط قديم إيران .
(٦) شرح ابن ميثم البحراني . ج٤ ص٣٥٤ ط طهران .

و"نابذهم بيده ولسانه ، وبأولاده فلم يغن شيئاً" (١) .

وقد ذكر ذلك نفسه حيث قال : و الله لقد دفعت عنه حتى حسبت أن أكون آثما" (٢) .

لأن ذا النورين منعهم عن الدفاع وقال : اعزم عليكم لما رجعتم فدفعتم أسلحتكم ، ولزمتم بيوتكم" (٣) .

"ومانعهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ..... وجماعة معهم من أبناء الأنصار فزجرهم عثمان ، وقال : أنتم في حل من نصرتي" (٤) .

وجرح فيمن جرح من أهل البيت ومن أبناء الصحابة الحسن بن علي رضي الله عنهم وقنبر مولاه" (٥) .

هذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه يعي الدرس ويصبر على البلوى، وينقذ الأمة الإسلامية من محنة لو وقعت لا يعلم مداها إلا الله وحده ، وهو يعلم المسلمين درسا فريداً في كيفية التضحية في سبيل نصرة الإسلام في التعامل مع الفتنة ، وقد وعى الدرس عن الرسول ﷺ ، هذه هي حقيقة موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكيف استطاع أن يوقف الفتنة ويخرجها من أن تقع في مدينة رسول الله ﷺ ، والتي اختلف حولها المسلمون قديماً وحديثاً في مختلف الفرق الإسلامية .

وينجح عثمان بن عفان رضي الله عنه وتفشل خطط هؤلاء المعادين للإسلام ، ويجتمع المسلمون على اختيار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليستكمل مسيرة الإسلام العالمية ، لذا نجد أعداء الإسلام يلجأون إلى أسلوب جديد فهم يحاولون إفساد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد" تحت "بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر" .
(٢) شرح نهج البلاغة . لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٨٦ .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط" ج١ ص١٥١، ١٥٢ ط عراق .
(٤) شرح النهج. تحت عنوان محاصرة عثمان ومنعه الماء .
(٥) البداية . تحت "قتلة عثمان" . ج٥ / ٥٩ . البلاذري . الانساب .

إسلام المسلمين بنشر أباطيل لا أصل لها في الدين الإسلامي مستغلين حالة الاحتقان الشديد وحالة الصراع التي تشهدها الأمة الإسلامية .

وهذا هو لب موضوعنا ، ولكن قبل أن نتوغل فيه يجب أن نشير أولا إلى أن التاريخ الإسلامي يحتاج إلى عملية تجديد وتحقيق واسعة ، والمسلمون في حاجة ماسة إلى معرفة حقائق التاريخ الإسلامي الصحيح ؛ فقد كثرت الروايات الغير صحيحة والكاذبة ، وللأسف فقد أصبحت تؤخذ كمسلمات عند غالبية المسلمين ، وكان التشويه والكذب متعمدا منذ البداية ، ويهدف غالبا إلى هدم الإسلام وتبديده في روايات موضوعة ونشرها بين المسلمين . وقد انساق الكثيرون من المسلمين وراء هذه الأباطيل والضلالات، حتى أصبحت الأحاديث المكذوبة والروايات الموضوعة والتاريخ المفترى ديناً وعقيدة لدى البعض ، وفي عصرنا الحديث تناولتها وسائل الإعلام والمدارس والجامعات وجهات نشر الثقافة، وترسخت في أذهان بعض المسلمين من عامتهم ومثقفيهم مع كونها أكاذيب لا صحة لها .

وهذا الأمر يبدو في غاية الصعوبة ليس من جهة التحقيق وإظهار الأكاذيب ونشرها ، ومن ثم رفضها . فهذا الأمر أصبح ممكنا بسهولة في هذا العصر بما فيه من إمكانيات علمية وتقنية ووسائل نشر وتوعية ، ولكن الصعوبة تكمن في كيفية قبول المسلمين تغيير ما ورثوه وترسخ في الأذهان على مر القرون ، وهذا الأمر يحتاج تضافر جهود المسلمين وتدخل الأجهزة الحكومية للدول فهي التي تسيطر على الإعلام المسموع والمقروء والمرئي، وتسيطر على التعليم ومناهجه في مختلف مراحله ، وهي التي تسير الثقافة وتتولى نشرها على المستوى الداخلي ، والخارجي وبالفعل هناك محاولات فردية كثيرة ومنتشرة في العالم العربي ، والإسلامي ولكنها لا تكفي للقيام بهذه المهمة العظيمة خلال هذه المرحلة – مرحلة العولمة – .

ونشير هنا باختصار إلى بعض أراء المؤرخين قديمًا وحديثًا حول ضرورة تصحيح التاريخ ، وإلى بعض المحاولات لتصحيح التاريخ الإسلامي،والتي تتصل بموضوع البحث بصورة مباشرة،وهي روايات تتعلق بهذه الفتنة وبعض شخصياتها.

وقد تميزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بالتاليف في هذا العلم "علم الرواية "، وهو علم له رجاله المتخصصين فيه الذين حافظوا على سُنَّة النبي ﷺ وبينوا ما فيها من كذب .

وسنعرض آراء بعض المؤرخين السابقين ، فيما كتبوه من روايات تاريخية:

ثانياً : آراء المؤرخين في الأخبار المنقولة :

[أ] رأى الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ فيما نقله من أخبار :

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في مقدمة تاريخة ، وهو أعلم بما كتب :

" فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجه في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا " (١) .

هذا هو قول الإمام الطبري - يرحمه الله - : ومن المؤسف أن البعض جعلوا من عدالة الإمام الطبري عذراً للأخذ بما في تاريخه بدون تدقيق ولا تمحيص، وقد أوصى هو بذلك. فهو يشير بكل وضوح أن عمله كان يهدف إلى الجمع والتدوين فقط؛ وأنه ليس مسؤولاً عن صحة ما يروى، وبرئ من أن يُعلق هذا الأمر به ، فيما لم يدققه هو بنفسه . وهو نفس ما قاله ابن الأثير ـ رحمه الله ـ أيضًا (٢) .

(ب) أقوال لابن العربي ـ رحمه الله ـ :

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ: "لا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار،واجتنبوا . .

(١) تاريخ الطبري . أبي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار سويدان ــ بيروت ، لبنان .

(٢) الكامل في التاريخ . ابن الأثير جـ١ ص٣ . دار صادر ، بيروت .

أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيره ؛ ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل فيقذفوا . . في قلوب الناس مالا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرد الله عنهم جميعًا" (١) .

[جـ] منهجية البحث عن ابن خلدون :

قال ابن خلدون في مقدمته : " فلا تنقل بما يلقى إليك من ذلك ، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادى إلى الصواب " (٢) .

وقال : " فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت أفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضًا كذلك من غير بحث ولا روية ، واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ مختلطًا ، وناظره مرتبكًا .

وقال أيضًا : "وكثيراً ما وقع للمؤرخين ، والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات ، والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أو سمينًا" .

وقال : إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل ووهموا فيها وابتدعوها . . فالتحقيق قليل . وردد مثل هذه الأقوال كثيراً في مقدمته .

[د] من آراء المعاصرين :

(أ) تقول د / سيدة إسماعيل كاشف :

" وطبيعي أن كثيراً من الكتب الحديثة سطحى ، أو يقصد به تأييد وجهة

---

(١) العواصم من القواصم،أبو بكر محم بن العربي،تحقيق محب الدين الخطيب ص٢٥٦ ،دار الجيل - بيروت - ط٢ .

(٢) مقدمة بن خلدون .عبد الرحمن ابن خلدون . بيروت . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

نظر خاصة من دون التقيد بأساليب البحث العلمي الصحيح . . " [١] .

(٢) د / محمد جميل غازي :

يقول ما نصه : " ولقد كان المجال التاريخي ـ ولا زال ، وسيظل ـ معبراً للتصورات الباهتة والروايات الموضوعة التي تؤيد حزباً ضد حزب ، وتعين فريقاً على فريق ! إن الرواية التاريخية أصبحت على لسان المحاربين كالسيف الذي في أيديهم يقتلون بها . . .وإذا كانت الحرب الباردة تعتمد على الإشاعة والأكاذيب، فإن الإشاعة والأكاذيب تحولت إلى روايات تاريخية . بل إلى روايات حديثية . . يضعها الوضاعون ثم يرفعونها بلا خوف ولا خجل إلى الرسول ﷺ ، أو يقفونها بلا حياء ولا استخزاء عند صحابته رضي الله عنهم " [٢] .

ثالثاً : اشتعال الفتنة :

ونقول : إن حقيقة الخلاف الذي استمر بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه فتنة استغلها البعض للقضاء على الإسلام ، ولكنهم يفشلون مرة ثالثة ، نعم لقد استمر القتال بين المسلمين واشتعلت الفتنة ، ولكن بعد مقتل علي بن أبي طالب ومبايعة ابنه الحسن رضي الله عنهم في رمضان سنة ٤٠هـ حيث بويع الإمام الحسن بن علي بعد استشهاد والده، وقد كان الحسن يميل إلى مصالحة معاوية رضي الله عنهم وإنهاء القتال .

ونجد دعاة الفتنة ومن تبعهم يفزعهم أمر الصلح وتحدي الأمة الإسلامية وإصرارها على القيام بدورها في نشر الدعوة الإسلامية ؛ لذلك يحاولون إيذاء الحسن رضي الله عنه ليرجع عن قرار الصلح الذي قد أضمره ، ثم يعمدون إلى محاولة قتله ، وهم يزعمون أنهم شيعته ! .

---

(١) مصادر التاريخ الإسلامي . سيدة اسماعيل كاشف .

(٢) العواصم من القواصم . مقدمة الكتاب . تحقيق محب الدين الخطيب ص٩ . دار الجيل – بيروت – ط٢ .

والمحاولة الأولى لاغتياله رضي الله عنه :

وقعت بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه ، وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل ، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي ، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر ... فمرض منها أشهراً ثم برئ ، فقعد على المنبر فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤكم ، وضيفانكم أهل البيت الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

[الأحزاب : ٣٣] .

فما زال يقول ذلك حتى ما رؤى أحد من أهل المسجد إلاّ وهو يخن باكياً .

المحاولة الثانية لقتله :

في شهر صفر سنة ٤١ هـ خرج الحسن بجيشه من الكوفة إلى المدائن ، وبينما الحسن في المدائن إذ نادى منادٍ من أهل العراق إن قيساً قد قتل ، فسرت الفوضى في الجيش، وعاد هؤلاء إلى طبيعتهم ، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه، حتى إنهم نازعوه بساطاً كان تحته وطعنوه وجرحوه .

المحاولة الثالثة لقتله :

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهم ، شرع الحسن في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح ، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بين الطرفين ، وفيما هو يخطب إذ هجم عليه بعض عسكره ـ من مثيري الفتنة ـ محاولين قتله ، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل .

وقد أورد البلاذري في كتابه "أنساب الأشراف" خطبة الحسن التي ألقاها في أتباعه ، ومحاولة قتله فقال فيها : "إني أرجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه ، وما أنا محتمل على أحد ضغينة ولا حقداً ولا مريداً به غائلة ولا سوءاً ، ألا وإن ما

تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي ، غفر الله لي ولكم " .

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا : عزم والله على صلح معاوية وضعف وخار، وشدّوا على فسطاطه، فدخلوه، وانتزعوا مصلاّه من تحته، وانتهبوا ثيابه ، ثم شدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي ، فنزع مطرفه (رداءه) عن عاتقه . .

لقد كان الإمام الحسن رضي الله عنه يعي حقيقة هذه الفئة المندسة بين أتباعه ، وقد خبر مكرهم وخداعهم ، ومدى توغلهم بين المسلمين الذين معه ، وأنهم يصرون على إحداث الفتنة واقتتال المسلمين ؛ لذا جمع الحسن رؤوس أصحابه في قصر المدائن ، فقال " :يا أهل العراق ، لو لم تذهل نفسي عنكم إلاّ لثلاث خصال لذهلت : مقتلكم أبي ، ومطعنكم بغلتي ، وانتهابكم ثقلي ، أو قال ردائي عن عاتقي ، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت ، وتحاربوا من حاربت ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا . . " [١] .

وقد جاء في طبقات ابن سعد ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أنه لما قيل للحسن من بعض المعترضين على الصلح : يا عار المؤمنين قال : للعار خير من النار . وفي رواية : إني اخترت العار على النار .

وعند ما قال له أبو عامر سفيان بن الليل "السلام عليك يا مذل المؤمنين" رد عليه الحسن " لا تقل هذا يا أبا عامر لست بمذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك "[٢] .

وقد جاء في بعض كتب مبتدعي التشيع ما يؤيد ذلك مثل : "الاحتجاج" للطبرسي أن الحسن تحدث عما فعله به بعض شيعته من أهل العراق ، وما قدموا

---

(١) الطبقات لابن سعد .

(٢) البداية والنهاية . ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل .

إليه من الإساءات والإهانات قائلاً : "أرى و الله معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي ، و الله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً . . . " .

ولكن الحسن بن علي رضي الله عنهم يقضي على الفتنة ، ويوقف القتال ، ويعقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتهدأ الفتنة ، ويجتمع المسلمون ويسمى هذا العام "عام الجماعة" ؛ لاجتماع المسلمين على معاوية رضي الله عنه للقيام بدورهم في نشر الدعوة في كافة أرجاء الأرض .

وفي هذه المرة كان أمر هؤلاء ممن يعادون الإسلام ويبغون ايقاع الفتنة بين المسلمين قد افتضح تماما فنجدهم يطورون خططهم ، ويحاولون إفساد أمر الإسلام بروايات وأكاذيب لخداع جماعات من المسلمين ، وإبعادهم عن الإسلام ببدعة التشيع لأهل البيت ، وقد سبقت محاولات لذلك ، وتصدى لها على بن أبي طالب ، وسنوضح ذلك في حينه .

نعم لقد استمر قتال المسلمين أثناء هذه الفتنة ، وكل منهم يعتقد أنه على الحق ، وأنه يقوم بما يفرضه عليه دينه ، ولكن لم يكن بينهم أية خلافات عقائدية ، أو دينية حتى تكون مبررا لظهور هذه الانحرافات ، والعقائد الفاسدة فيما بعد ، ولكن هناك من يحاولون إفساد دين المسلمين .

ونؤكد بداية أن الصحابة رضي الله عنهم ليسوا في موضع الشبهة للدفاع عنهم ، فقد مدحهم القرآن الكريم وبين منزلتهم العالية ، ومديح الرسول ﷺ لهم ثابت ، وهم شهود رسول الله ﷺ في تبليغ دعوته، وشهود سائر الأنبياء. قال رسول الله ﷺ : **يجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمته : هل بلغكم ، فيقولون : ما جاءنا من نذير ، فيقول : من شهودك ، فيقول : محمد وأمته ، فيجاء بكم فتشهدون ، ثم قرأ رسول الله ﷺ :**

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ـ قال : عدلاً ـ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

وهم من حمل أمانة الإسلام ، وقام بنشرها كما أراد الله ورسوله ﷺ ، وهم خير أمة أخرجت للناس ، ولا مجال لطعن طاعن في أي منهم ، ونحن لا ننزههم عن الخطأ ، فهم بشر يخطئون ، ولكننا ننزههم أن يجتمعوا على الخطأ .

قال رسول الله ﷺ : " **إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة** " (٢) .

قال رسول الله ﷺ : " **إن الله أجاركم من ثلاث خلال ، أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة** " (٣) .

وليسأل كل عاقل نفسه متى تحقق اجتماع الأمة بهذا المعنى المباشر ؟ .

إنه لم يتحقق إلا مع صحابة الرسول ﷺ فهل من مستمع يعي ؟! .

وسنعرض باختصار لبعض مواقف حدثت في الفتنة لتصحيح بعض المفاهيم ، والأخبار كنقطة ننطلق منها :

من الثابت تاريخيًا أن الفتنة بدأت تطل برأسها في عهد عثمان بن عفان على يد فئة معادية للإسلام استطاعت خداع بعض المسلمين من حديثي العهد بالإسلام ، واشتهر منهم عبد الله بن سبأ (٤) ،ولكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ كما أشرنا سابقًا ـ استطاع أن يوقف الفتنة ، وضحى بنفسه صابراً محتسبًا ، وقد أثار هؤلاء بعض المآخذ والشبه على عثمان بن عفان رضي الله عنه لخداع المسلمين وإثارتهم

---

(١) الراوي : أبو سعيد الخدري ـ خلاصة الدرجة : صحيح . المحدث : البخاري ـ المصدر : الجامع الصحيح .

(٢) الراوي : كعب بن عاصم الاشعري ـ خلاصة الدرجة : حسن بجموع الطرق ـ المحدث : الالباني ـ المصدر : السلسلة الصحيحة ١٣٣١ .

(٣) الراوي : أبو مالك الاشعري ـ خلاصة الدرجة : أشار في المقدمة انه صحيح الإسناد ـ المحدث : عبد الحق الإشبيلي ـ المصدر : الاحكام الصغرى ٩٨ .

(٤) وشخصية عبد الله ابن سبأ حقيقية ذكرها من أهل السُّنَّة كل من أرخ لهذه الفترة .

عليه ولإشعال الفتنة ، وسنعرض لبعض ما أثاروه بمكر من شبهات حوله حتى نؤكد أنهم يكيدون للإسلام ، ويسعون للقضاء عليه [١] .

رابعاً : من المآخذ التي ساقوها على عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ومن أبرز المآخذ التي ساقوها على عثمان بن عفان رضي الله عنه :

[أ] توليته أقاربه :

قالوا ولى من أقاربه من بني أمية : معاوية ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، ولكننا نجد النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ولاة من بني أمية أيضا ،وهم : عتاب بن أسيد ، وأبو سفيان بن حرب ، وخالد بن سعيد ، وعثمان بن سعيد ، وأبان بن سعيد . وهؤلاء خمسة كعدد الذين ولاهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ،وعثمان بن عفان لم يتولهم في وقت واحد ، ثم أن عثمان بن عفان عزل الوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص من الكوفة .

وهؤلاء الذين ولاهم عثمان بن عفان كان مشهود لهم بالكفاءة ، ولم يحاب عثمان رضي الله عنه من أخطأ منهم .

[ب] قالوا نفي أبا ذر إلى الربذة :

وقد اعتمد هؤلاء على رواية "سيف بن عمر" عند الطبري وهي رواية كاذبة ، والرواية الصحيحة الثابتة عند البخاري في صحيحه :

" عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر فقلت : ما أنزلك هذا المنزل ؟ ، قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة . فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا : نزلت فينا وفيهم.

---

(١) المقالات والفرق ص: ٢٠ . والشيعي سعد بن عبد الله القمي شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها، يقر بوجود ابن سبا، ويذكر أسماء بعض أصحابه الذين تآمروا معه، ويلقب فرقته بالسبئية، ويرى أنها أول فرقة في الإسلام قالت بالغلو، ويعتبر ابن سبأ " أول من أظهر الطعن على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، والصحابة رضي الله عنهم وتبرأ منهم ، وادعى أن عليًا رضي الله عنه أمره بذلك" ، ويذكر القمي أن عليًا رضي الله عنه بلغه ذلك فأمر بقتله ثم ترك ذلك ، واكتفى بنفيه إلى المدائن.

وكان بيني وبينه في ذلك ، فكتب إلى عثمان يشكوني أني أتكلم في هذه المسائل وأثير الناس .

فكتب إليّ عثمان أن أقدم إلى المدينة فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يرونِ قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال عثمان : إن شئت تنحيت، فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني ذاك المنزل،ولو أمَّروا علي حبشيا لسمعت إذًا وأطعت[١] .

فعثمان بن عفان رضي الله عنه لم يطرد أبا ذر إلى الربذة ، ولم يرسله معاوية رضي الله عنه من الشام إلى المدينة مهانا . بل خرج أبو ذر رضي الله عنه إلى الربذة بإرادته .

بل قد ورد عند ابن سعد بسند جيد أنه لما خرج إلى الربذة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها** "[٢] .

– وقد صح من حديث عبد الله بن الصامت عند ابن حبان (برقم ١٥٤٩موارد الظمآن) أن أبا ذر رضي الله عنه هو الذي أستأذن عند عثمان رضي الله عنه أن يقيم في الربذة .

وذكر بن خلدون في العبر: أن أبا ذر رضي الله عنه استأذن عثمان رضي الله عنه في الخروج من المدينة وقال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً " . فأذن له ، ونزل الربذة ، وبنى بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً ، وكان يتعاهد المدينة ، وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال ، قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل في طريق مكة[٣] .

وكل الشبه التي أثاروها عليه ردها عليهم علماء المسلمين قديمًا وحديثًا[٤] .

ونحن نسأل هل لعلي بن أبي طالب ، أو عبد الله بن عباس ، أو عبد الله بن عمر ، أوغيرهم من كبار الصحابة أية مآخذ على عثمان بن عفان رضي الله عنهم ؟!

---

(١) صحيح البخاري . كتاب الزكاة ــ باب ما أدي زكاته فليس بكنز ــ رقم (١٤٠٦) .

(٢) طبقات بن سعد . ٤ / ٢٢٦ . منقول من " حقبة من التاريخ " عثمان الخميس . ص ١٠١ .

(٣) العواصم من القواصم .ص ٨٠ . أبو بكر بن العربي .

(٤) انظر كتاب حقبة من التاريخ . عثمان الخميس بداية من ص٩٢ ومايليها . دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية .

ومن هؤلاء الذين خرجوا عليه ؟ وما هي مآثرهم في الإسلام ، أو آثارهم في العلم ؟!.

لاشك أن هناك من يكيد للإسلام ، وقد اتبعهم البعض بجهالة أو بقصد في هذا الانحراف الحاد عن دين الله.

وليتضح الأمر أكثر نحن الآن في عام ٣٥ هـ وقد قتل عثمان بن عفان ، واجتمع المسلمون على اختيار علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة للمسلمين ، ولكن أمر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه لم ينته بعد ، وقد عزم الكثيرون على الثأر من قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يكن الأمر سهلاً ، فهؤلاء القتلة كثيرون ومعهم عشائرهم، واختلطوا بغيرهم ، وهنا دب الخلاف من جديد بين المسلمين ، وخرج طلحة والزبير بن العوام والتقوا بعائشة رضي الله عنهم وأجمعوا الرأي على الثأر من قتلة عثمان ، وتبعهم كثير من المسلمين ، وكانت واقعة الجمل ٣٦هـ .

وكان علي رضي الله عنه يرى تأجيل القصاص من قتلة عثمان للمصلحة العامة ؛ فالأمر لم يستتب بعد ، ومازالت الفتنة قائمة ، وهؤلاء لهم قبائل تدافع عنهم ، وكان رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الأصوب .

وكما يروي المؤرخون الذين أرخو للمعركة أمثال : الطبري ، وابن كثير ، وابن الأثير ، وابن حزم ، وغيرهم أن الجيشين قبل معركة الجمل قد وصلوا لاتفاق على قبول رأي علي بن أبي طالب بتأجيل القصاص حتى تستتب الأمور ، وكاد علي رضي الله عنه أن يوقف هذه الفتنة ، ولكن من يكيدون للإسلام أرقهم ذلك وعمدوا إلى إثارة الفتنة وإشعال نار الحرب ، وحاول طلحة إيقاف القتال كما حاول علىّ وعائشة إيقافها ، ولم يشارك الزبير في المعركة وقتل غدرا وأعداء الإسلام ومن تبعهم بجهل لم يتركوا الفرصة حتى دارت رحى المعركة واستعرت الفتنة بين المسلمين من جديد .

فلما انتهت المعركة صار علي رضي الله عنه يمر بين القتلى فوجد طلحة بن عبيد الله

فقال بعد أن أجلسه ، ومسح التراب عن وجهه : عزيزٌ عليّ أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء أبا محمد، وبكى عليّ رضي الله عنه وقال: وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة . وكان طلحة يلقب بالسجاد رضي الله عنه من كثرة عبادته لله تعالى (١) .

وانتهت المعركة وأرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها معززة مكرمة إلى مدينة رسول الله ﷺ .

خامساً : معركة صفين ٣٧هـ ، والخوارج .

وانتهت موقعة الجمل ، ولكن مازالت الفتنة مشتعلة ، وأعداء الإسلام يزيدون لهيبها كل يوم ، وكان موقف معاوية رضي الله عنه ومعه أهل الشام هو ضرورة القصاص من قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولاشك أن إصرارهم قد زاد بعدما حدث في موقعة الجمل .

ولم يكن الأمر نزاع على السلطة كما صوره البعض أوكما يدور في أذهان العامة وكثير من المثقفين اليوم ، ولم يسع عليٌ رضي الله عنه لاسترداد حقه المغتصب منذ وفاة الرسول ﷺ كما ادّعى كذباً من ابتدعوا التشيع ومن تبعهم وبنوا أباطيلهم على ذلك ، ولم يكن هناك أية إشارات لكل ما روج له أعداء الإسلام ، ومن ادعوا الإسلام نفاقا لهدمه .

ولم يكن القتال بين خليفة وخليفة أبدًا ، ولم يكن صراعا على السلطة ، ولم يدع ذلك أحد من الفريقين. عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على معاوية فقال له : أأنت تنازع عليا ، أأنت مثله ؟ .

فقال معاوية رضي الله عنه : لا و الله إني لأعلم أن عليًا أفضل وأحق بالأمر ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا ؟، وأنا ابن عمه ، وأنا أطالب بدمه فأتوا

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١١ / ٢٠٧) . تحقيق روحية النحاس . دار الفكر دمشق طبعة أولى . ١٤٠٤ هـ .

أسد الغابة في معرفة الصحابة . عز الدين ابن الأثير (٣ / ٨٨) . مكتبة الشعب . القاهرة . قال البوصيري : رجاله ثقات .

عليا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له الأمور ، فأتوا عليا فكلموه فأبى عليهم ولم يدفع القتلة "[١] .

وقد زاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأمر وضوحا وبين سبب الخلاف وحدده بدقة ؛ حتى لا يزايد أعداء الإسلام على الأمر ـ وقد بدأت أصواتهم تظهر ، وكذبهم ينتشر ـ فكتب رضي الله عنه كتابا إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين ، ويبين حكم من قاتلوه وموقفه منهم ، يقول فيه :

" .. وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام ، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ، ودعوتنا في الإسلام واحدة ، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا . الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه براء "[٢] .

ولكن قد يتساءل البعض لماذا الإصرار من معاوية رضي الله عنه ومن معه ومن قبله أصحاب الجمل على الثأر لعثمان بن عفان رضي الله عنه ؟!

ونحن لن نذكر القاريء بطبيعة المجتمع العربي القبلية في هذه الفترة ، وأنّ الإسلام يعطي ولي الدم الحق في الثأر ، أو أن الذي قتل هو خليفة المسلمين وصهر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل سنذكر المسلمين أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه له خصوصية في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم للتفاوض مع قريش حتى يدخل المسلمون لأداء العمرة ، والطواف بالكعبة قبيل صلح الحديبية ، وعندما تأخر عثمان رضي الله عنه في العودة وأشيع أن عثمان قتله الكفار في مكة قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا أتحرك من هاهنا إلا بعد قتال من قتلوا عثمان فأتكأ بالشجرة ، وأخذ البيعة ـ بيعة الرضوان ـ ، ووضع يده الشريفة صلى الله عليه وسلم بدلا عن عثمان رضي الله عنه ، وقد

---

(١) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤٠ ، وسنده صحيح . النقل عن كتاب حقبة من التاريخ . ص١١٩ . عثمان الخميس . دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع .

(٢) شرح نهج البلاغة . ج٣ .ص١١٤ . شرح الأستاذ الشيخ الإمام محمد عبده . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان .

نزل القرآن الكريم يبشر كل من دخل في هذه البيعة برضا الله تعالى والجنة .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح : ١٨] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح : ١٠] .

فعثمان رضي الله عنه له خصوصية هنا ، وانظر ماذا فعل الرسول ﷺ ، ثم انظر تأييد القرآن الكريم حتى تقف على حقيقة الموقف وبواعثه ، فيجب أن تقف تلك الاتهامات حول معاوية، وحول الصحابة رضي الله عنهم ؛ فالأمر أنها فتنة وقعت وكل منهم يتصرف بدليل لديه يبني عليه اجتهاده ، وهم بريئون من كل ما علق بهم من اتهامات .

ويجب الإشارة هنا إلى أن غالبية من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يشاركوا في هذه الفتنة .

ويؤكد هذا الموقف أن أمر هذه الفتنة والوقيعة قد اختلط على الصحابة رضي الله عنهم ؛ ولذلك تباينت مواقفهم .

وننتقل إلى جيش علي رضي الله عنه لتتضح لنا الحقيقة أكثر .

لقد دعي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه للتحكيم فقبل الأمر حقنا لدماء المسلمين ووقف هذه الفتنة ، وقبل ذلك معظم من معه ، واختلط الأمر على فئة منهم ورفضوا ذلك وهذا أمر طبيعي وكان يحدث في عهد الرسول ﷺ ، ولكن هب مثيرو الفتنة وأعداء الإسلام والمسلمين لينفثوا سمومهم وينفخوا نيرانها من جديد بعد أن كاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقضي عليها ، ويسقط تدبيرهم ويفتضح أمرهم ؛ لذلك نجد المتناقضات تجتمع في صفوف جيش أمير المؤمنين

وبين أتباعه رضي الله عنه .

فعلي رضي الله عنه ومن معه من الصحابة ينزعون إلى المصالحة ووقف القتال ، وجماعة تخرج على هذا الاتفاق وترفضه،وأن الأمر يجب أن يحسم أولا بالقتال، وبعد ذلك يكون الصلح ؛ ونجدهم قد اعتزلوا الأمر كله .

ويجب الإشارة هنا إلى أن هناك خطأً تاريخياً كبيراً عمد إليه مثيرو الفتنة ومبتدعي التشيع ، وكان رؤساؤهم في جيش علي رضي الله عنه فعمموا الحكم على هؤلاء وعمموا إطلاق لفظة " الخوارج " ـ بمعنى الخروج على الإسلام ـ على كل من رفضوا التفاوض مع معاوية من أجل الصلح ، وللأسف فقد ترسخ هذا الحكم العام ، وكان من بذور الفتنة التي وضعها أعداء الدين وعمدوا إلى ترسيخها في أذهان المسلمين .

وهذا الموقف من علي رضي الله عنه وأتباعه لقبول المصالحة والتفاوض مع معاوية رضي الله عنه وأتباعه ، وهم يعترفون بذلك،يجب أن يهدم كل ما ابتدعه من تخفوا في ثياب التشيع من القول بالوصية بالإمامة ، والعصمة ، إلى غير ذلك من أكاذيبهم !.

وعلي رضي الله عنه ومن معه من أتباعه حقاً قبلوا التفاوض . إذا أين كان مبتدعي التشيع : هل هم مع من رفضوا التحكيم ، أم مع من قبلوا التحكيم ؟ ، والحقيقة أنهم لم يكونوا مع هؤلاء ولا هؤلاء ، فهم فئة اندست بين المسلمين لتحارب الإسلام وتفسد على المسلمين دينهم .

وللحقيقة والعلم يجب أن نذكر أن هذه الفئة التي رفضت القتال بعد قبول علي بن أبي طالب رضي الله عنه التفاوض مع معاوية رضي الله عنه ، كانت لهم مقالة تستند إلى قوله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠** ﴾ [الحجرات : ٩ – ١٠] .

هذه حقيقة موقفهم ، وهم قد خرجوا للقتال مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو خليفة المسلمين ،ولكن من يدبرون لإفساد المسلمين وإشعال الفتنة ومن تبعهم بعلم أو بجهل يتولون كبر الأمر وتشويه حقيقة هؤلاء ؛ ليزيدوا الأمر اضطراباً والفتنة اشتعالاً ـ وما أكثر كذبهم والذي سنكشفه تباعاً ـ ؛ لذلك نجد الفتنة تدب في صفوف جيش الإمام رضي الله عنه ، ويزداد الأمر سوءاً وتكون معركة النهروان ٣٨هـ[١] ،ولا شك أن تدبير هؤلاء في إثارة الفتنة قد زاد ، وكانوا وراء الأحداث التي قادت لهذه المعركة ؛ لأن هؤلاء الذين اعتزلوا جيش علي رضي الله عنه قد توقفوا عن القتال تماما ، وكان موقفهم معلن ، ولكننا نجد التهمة تلصق بهم جميعا بأنهم قتلوا عبد الله ابن الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه، وقتلوا زوجته، وبقروا بطنها ، وكانت حاملا متمة في شهرها ،والحقيقة التاريخية الثابتة أن من فعلوا ذلك الجرم لم يكونوا سوى مجموعة قليلة ممن كانت في صفوف هؤلاء المسلمين ، واختلط الأمر على الباقين ، وعمم الحكم على الجميع .

لذلك نجد الروايات متضاربة حول هذه الجماعة من المسلمين ، وتظهر فيه أساليب الكذب والوقيعة التي هي سمت مثيروا الفتنة ومبتدعي التشيع .

فتشير بعض الروايات إلى أن الإمام علي رضي الله عنه كان ينحى باللائمة على أن أهل "حروراء" أصروا على وقف القتال وأرغموه على قبول التحكيم [٢] .

وتؤكد بعض الروايات وكثرة من الباحثين أن أهل "حروراء" بنو انشقاقهم على رفض التحكيم[٣]، فالقراء من أهل "حروراء"هم الذين أجبروا "عليًا" رضي الله عنه على

---

(١) النهروان : مدينة صغيرة على بُعد أربع فراسخ من بغداد شرقًا ،" الروض المعطار في خبر الاقطار " ص٥٨٢ . أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري .مكتبة لبنان بيروت . تحقيق إحسان عباس . الطبعة الثانية

(٢) تاريخ الامم والملوك . محمد بن جرير الطبري ج٣ / ص١١٠ . دار الكتب العلمية بيروت طبعة ٢ . واقعة صفين . نصر بن مزاحم المنقري . (ت ٢١٢هـ) ص٤٨٩-٤٩٠ . تحقيق عبد السلام هارون . دار الجيل ـ بيروت . طبعة ٣ .
كتاب الفتوح . ابن أعثم الكوفي ج٤ / ص١٨٢-١٨٣ . تحقيق/علي شيري .دار الاضواء ـ بيروت ط ١ .

(٣) الفتنة . د/ هشام جعيط ص٢٠٧ . ترجمة : خليل أحمد خليل . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت
قضايا التاريخ . ص٦١ . د/ محمود إسماعيل .

قبول التحكيم،وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم.فهل يقبل هذا ؟!.

ويقول لهم ابن عباس رضي الله عنهما عندما ذهب ليناظرهم ـ حسب الروايات التاريخية ـ :

" أتسبون أمكم عائشة ؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ " .

والرواية وإن كانت صحيحة السند في بعض طرقها إلا أن السيدة عائشة رضي الله عنها كما هو معلوم لا دخل لها في معركة "صفين" ، وكان خلافها قبل ذلك مع على في موقعة " الجمل " .

كما أن معركة صفين لم تنته ، وكان موقف المحكمة " ، وخروجهم إلى حروراء " نتيجة وقف القتال ، فالمعركة لم تنته بانتصار علي رضي الله عنه حتى يكون النقاش حول السبي والغنيمة ، وإذا كان هذا السؤال بعد معركة " الجمل " فيمنع تكراره منهم فيما بعد لاسيما أن الذين قاتلوا مع علي رضي الله عنه في الجمل هم الذين قاتلوا معه في " صفين " ، والذين اعتزلوا إلى " حروراء " كانوا جزءاً من الجيش . فالأحداث والروايات مازالت تحتاج بحث وتدقيق أكثر حول هؤلاء حتى تكتمل الصورة الصحيحة .

ويورد اليعقوبي الشيعي [1] رواية تبدو فيها صبغة مبتدعي التشيع واضحة . يقول : " أن من جملة مآخذ معارضي التحكيم على الإمام علي تخلية عن المطالبة بحقه الذي أوصاه به الرسول ﷺ حسب زعم الرواية " وهو تسلم الخلافة من بعده " .

وهذا يتناقض مع المبادئ التي تبناها أهل "حروراء" ، لأن أول ما أعلنوه من مبادئهم أن "الأمر شورى" ،وأن الخلافة لا يُشترط أن تكون في قريش ، وهي فكرة لا تتفق مع فكرة الوصاية بل وتعارضها،كما أن الخلاف بين الإمام علي رضي الله عنه وأهل حروراء نبع من قبوله التحكيم ، بالإضافة إلى أنه كان على سدة الخلافة وقتئذ .

(١) تاريخ اليعقوبي . اليعقوبي .ج٢ / ص١٩١ . دار صادر ـ بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

ومن المؤكد أن هؤلاء السبأية هم الذين أثاروا فكرة أن يُطلب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يَقْسِم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير رضي الله عنهما فأبَى عليّ رضي الله عنه ، فطعن فيه هؤلاء السبئية أو من تبعهم ! وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ ، ولكنهم ألصقوها وغيرها الكثير بمن خرجوا على عليّ رضي الله عنه ، ولكن سير الأحداث وما عرف به هؤلاء ينفي ذلك ، ولم يكن غير هؤلاء السبأية الذين كانوا المقدمة لبدعة التشيع هم الذين آثاروا هذه الفتن .

ويؤكد ما ذهبنا إليه هذه الرواية عن حبيب بن أبي ثابت يقول :

" أتيت أبا وائل وهو في مسجد "حبة" فاعتزلنا في ناحية المسجد فقلت : ألا تخبرني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه [فيم] فارقوه ، و [فيم] استجابوا له حين دعاهم ، وحين فارقوه فاستحل قتالهم ؟ .

قال : لما كنا بصفين استحر القتل في أهل الشام ... فذكر قصة قال: فرجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة ، وقال فيه الخوارج ما قالوا ، ونزلوا حروراء[1] ، وهم بضعة عشر [ألفا] ، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم يناشدهم الله تعالى ارجعوا إلى خليفتكم ، فبم نقمتم عليه ؟ أفي قسمة أو قضاء ؟

قالوا : نخاف أن ندخل في فتنته ، قال : فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل ، قال : فرجعوا فقالوا : نكون على ناحيتنا ، فإن قبل القضية قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين ، وإن نقضها قاتلنا معه ، فساروا حتى قطعوا نهروان ، و [افترقت] منهم فرقة يقتلون الناس ، فقال أصحابهم: ما على هذا فارقنا عليا ، فلما بلغ عليا رضي الله عنه صنيعهم قام فقال: أتسيرون إلى عدوكم ، أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم في دياركم ؟ قالوا: بل نرجع إليهم . قال : فحدث عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن طائفة تخرج من قبل المشرق**

(١) حروراء : قرية من قرى الكوفة بينهما نصف فرسخ ، ياقوت الحموى "معجم البلدان" ، ج٢ / ص٢٨٣ .

عند اختلاف الناس لا ترون جهادكم مع جهادهم شيئا ، ولا صلاتكم مع صلاتهم شيئًا ، ولا صيامكم مع صيامهم شيئًا ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل عضده كثدي المرأة ، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق» ، فسار علي رضي الله عنه إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فجعلت خيل علي رضي الله عنه تقوم لهم فقال : يا أيها الناس ، إن كنتم إنما تقاتلونهم فيّ فوالله ما عندي ما أجزيكم به ، وإن كنتم تقاتلون لله تعالى فلا يكونن هذا قتالكم ، فاقبلوا عليهم فقتلوهم كلهم ، فقال : اتبعوه ، فطلبوه فلم يوجد ، فركب علي رضي الله عنه دابته وانتهى إلى وهدة من الأرض ، فإذا قتلى بعضهم على بعض ، فاستخرجه من تحتهم ، فجر برجله يراه الناس ، قال علي رضي الله عنه : لا أغزو العام ، فرجع إلى الكوفة فقتل ، واستخلف الناس الحسن بن علي رضي الله عنهما فبعث الحسن رضي الله عنه بالبيعة إلى معاوية رضي الله عنه ، وكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد رضي الله عنهما فقام قيس بن سعد في أصحابه فقال : يا أيها الناس : ما هذا ؟، فقال : الحسن بن علي رضي الله عنهما قد أعطى البيعة معاوية رضي الله عنه ، فرجع الناس فبايعوا معاوية رضي الله عنه ، ولم يكن لمعاوية رضي الله عنه هم إلا الذين بالنهروان ، فجعلوا يتساقطون عليه يبايعونه حتى بقي منهم ثلاثمائة ونيف ، وهم أصحاب النخيلة " (١) .

ويؤكد ما ذهبنا إليه أيضًا الرواية التالية :

" أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال يوم النهروان لما وقع المصاف : أنه لا يقتل منكم ـ يعني أصحابه ـ عشر ، ولا ينجو منهم ـ يعني الخوارج الذين قصدهم عليّ رضي الله عنه في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عشرة ، فكان الأمر كما قال " (٢) .

فالثابت من الروايات أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد قضي على هذه الجماعة الخارجة التي انشقت عن أهل النهروان قضاءً تامًا ، ولم يكن المقصود بحال من

---

(١) الراوي : حبيب بن أبي ثابت ـ خلاصة الدرجة : إسناده صحيح ـ المحدث : ابن حجر العسقلاني ـ المصدر : المطالب العالية ٥ / ٥٢ . موقع الدرر السنية . شبكة الإنترنت .

(٢) خلاصة الدرجة : ثابت ـ المحدث : الشوكاني ـ المصدر : الفتح الرباني ٢ / ٩٣٩ . موقع الدرر السنية .

الأحوال كل أهل النهروان،أي كل الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه لقبوله التحكيم.

ونستدل من كل ذلك على أنه وجدت مجموعة لم تكن كثيرة جدا قد انشقت عن الفئة التي رفضت التحكيم من أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهي التي قصدها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقضى عليها تماما ، وهي المشار إليها في الأحاديث التي صحت عن الرسول ﷺ والروايات التي نقلت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ لكن من الثابت لدى كافة المسلمين أن الجماعة التي رفضت التحكيم واعتزلت القتال بين علي ومعاوية لم يقض عليها وكانت موجودة ، وبقوة على الساحة الدينية والسياسية والاجتماعية بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان لها أنصارها وفكرها وقد حدثت في داخلها انقسامات كثيرة بعد ذلك .

وأما تعميم الحكم في الماضي فهو خطأ تاريخي أوجده مثيرو الفتنة ومبتدعي التشيع ، ورسخه في الأذهان الظروف الخاصة بالمجتمع وطبيعة تلك المرحلة التاريخية .

وقد حدث تعميم في الحكم وخلط في كتب التاريخ بين المحكمة أي مجموع أهل النهروان ـ الخوارج ـ أي الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لقبوله التحكيم ، وبين تلك الفرقة ـ الخوارج ـ التي انفصلت عن أهل " النهروان " – وشذت عن الإسلام – فأخذت تهدد الناس قتلاً ، فما كان من أهل النهروان إلا أن نابذوهم ودعوا عليهم بالويل ، وهذه هي الفرقة التي قصدها الإمام علي رضي الله عنه بجيشه وقضى عليها تمامًا .

ثم حدث تعميم في الحكم مرة ثانية وخلط في كتب التاريخ في استخدام لفظة الخوارج ؛ وساعد على الخطأ التاريخي ذلك أنه قد حدثت انقسامات جديدة في عام ٦٤هـ/ ٦٨٤م في داخل صفوف هذه الجماعة التي خرجت من جيش عليّ رضي الله عنه لقبوله التحكيم مع معاوية رضي الله عنه وتحول مع بعضها معنى

الخروج على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الخروج على الدين الإسلامي . وهذا الموضوع يحتاج بحثاً خاصاً به .

ويؤكد تلك النظرة أن الروايات قد أوردت أن عدد الخوارج من جيش علي أثناء عودتهم من صفين إلى الكوفة بأنهم بضعة عشر ألفاً ، وحدد العدد باثنتي عشر ألفاً (١) ،وفي رواية بثمانية آلاف(٢) ، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفاً (٣) ، وذكروا أنهم عشرون ألفا (٤) .

وتذكر الروايات أنه رجع منهم كثير ولم يبق إلا أربعة آلاف ، وقبل معركة النهروان انصرف منهم الكثير فلم يبق منهم إلا ألفا أو أقل (٥) هم من حاربهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .وكانت معركة قصيرة أخذت وقتا من اليوم التاسع من شهر صفر عام ٣٨هـ . ولم ينجو من هؤلاء الخوارج أكثر من عشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة (٦) . وتذكر بعض الروايات أنهم أصيبوا جميعًا (٧) . وهذا كله يؤكد لنا أن هذه الفئة الخارجة قد قاتلها عليّ رضي الله عنه ، انتهى أمرها .

وقد سُئل عليّ رضي الله عنه أ كفارٌ هم ؟،قال: من الكفر فروا، فقيل منافقون؟ ،قال: المنافقون لايذكرون الله إلا قليلاً . قيل فما هم ؟ ، قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم ، وفي رواية : قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم ، وفي رواية قوم أصابتهم فتنة فعموا

---

(١) تاريخ بغداد . ١ / ١٦٠ .

(٢) البداية والنهاية . ٧ / ٢٨٠، ٢٨١ . أبي الفداء بن كثير الدمشقي . دار الريان الطبعة الأولى ١٩٨٨م . إسناده صحيح ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦ / ٢٣٥ . نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي . دار الريان القاهرة .

(٣) المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني . تحقيق / حبيب الرحمن الاعظمي . المكتب الإسلامي . بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ . ١٠ / ١٦٠، ١٥٧ . بسند صحيح .

(٤) تاريخ خليفة ص ١٩٢ .

(٥) تاريخ الخلافة الراشدة . محمد كنعان .ص ٤٢٥ . مختصر من البداية والنهاية .

(٦) خلافة علي بن أبي طالب . ص ٣٢٩ . رتبه وهذبه د/ محمد بن صامل السلمي ، مستخرج من البداية والنهاية ، دار الوطن . ط١ ٢٠٠٢م . ، تاريخ خليفة بن خياط . ص١٩٧ . تحقيق اكرم ضياء العمري . ط٢ مؤسسة الرسالة ، ودار القلم بيروت ١٣٩٧هـ .

(٧) أخبار الخوارج من الكامل . ص ٣٣٨ .

فيها وصموا (١) .

كما أن عليًا رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده ،فقال: إن خالفوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم،وإن خالفوا إماما جائرا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالا(٢) .

ويقول د. نايف معروف " : ظلت الخوارج على رأي واحد من لدن أن فارقوا عليا إلى أن كان من أمرهم ما كان مع ابن الزبير رضي الله عنه وتفرقهم عنه ، فقد كانوا حتى ذلك الحين يتولون أهل النهروان ومرداس بن أدية ، ولا يختلفون إلا في صغائر الأمور " (٣) .

وكان أول المنشقين بعد ذلك نافع بن الأزرق ، عندما أحدث قضية التشريك ـ أي كفر الملة ـ ٦٤ هـ ؛ فكتب بذلك إلى أصحابه يدعوهم إلى متابعته فيها ، فافترقت مقالاتهم في ذلك وظهرت منهم فرق انحرفت وخرجت على مبادئ الشريعة الإسلامية وهم فرق " الأزارقة ، والنجدات أو النجدية ، الصفرية " ، وتميزت طائفة منهم والتي رفضت تكفير المسلمين وهي "الأباضية" . وقد تبرأ عبد الله بن أباض ، ومن معه من هؤلاء ومن فكرهم واعتقادهم .

ويتضح هذا بجلاء في رسالة عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان فقال له ما نصه : "إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنعه وأتباعه . لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه ؛ فنبرأ إلى الله منهم" (٤) .

---

(١) مصنف عبد الرازق ١٠ / ١٥٠، والمصنف في الحديث والآثار لابن أبي شيبة ١٥ / ٣٣٢ . بسند صحيح .

(٢) المصنف في الاحاديث والآثار. ١٥ / ٣٢٠ . أبي بكر بن أبي شيبة . الدار السلفية . ط١ ١٤٠٣ هـ ، بومباي الهند ، فتح الباري ١٢ / ٣٠١ . له سند صحيح عند الطبري .

(٣) الخوارج في العصر الأموي د.نايف معروف ص٣١٩ " بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.ط ٣، ١٩٨٦م .

(٤) الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات . ص١٥٦-١٦٧ " . البرادى . أبو القاسم إبراهيم . القاهرة ١٨٨٤م .

وليقرأ من يريد سيرة سالم بن ذكوان التي خصها لمناقشة آراء الخوارج ، فقد أعلن – معبرًا عن الاباضية – تبرؤه من القضايا التي تبناها الأزارقة وأمثالهم .

ابن ذكوان " السير " و٧٠ – ٧٢ (مخطوط) . مسقط .

ويؤكد هذه الحقيقة أيضا تصدي الأباضية لفرقة الصفرية ، وقضائها عليها في زمن الجلندي بن مسعود ـ أول إمام للإباضية في عمان ١٣٢ هـ ـ .

ولكن تناقلت بعض كتب التاريخ الإسلامي وكتب الفرق تعميم هذا المصطلح ـ الخوارج ـ بمعنى الخروج على الدين استنادا إلى أحاديث الرسول ﷺ ، وأُطلق على الجميع دونما تميز ، ورسخ في أذهان العامة وكثير من الباحثين حتى أصبح كثير من العلماء يأخذون الدين من كتب التاريخ في هذه المقالة .

ولكن بعد أن اتضحت المسألة فيجب إغلاق هذا الباب الذي يباعد بين المسلمين ، ويجب التمييز عند استخدام لفظة الخوارج لمن خرجوا على عليّ رضي الله عنه لقبوله التحكيم .

ويجب التمييز بين هؤلاء من الخوارج الذين خرجوا على الدين "الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية" ، وبين الأباضية ، ومازال هذا الموضوع يحتاج بحثاً خاصاً به للوصول إلى حقيقته .

ولكن ما يهمنا أكثر في موضوع البحث هنا أن هذه الفئة التي رفضت التفاوض ووقف القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، خاصة الإباضية الآن هم شهودنا في هذه القضية ـ لا أقصد كأشخاص ولكن ما اعتنقته من أفكار ـ ، فهم كانوا من أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن شيعته ، وكانوا الأكثر تحمساً للقتال ورفض التفاوض ، وكانوا الأكثر إصراراً على أحقيته بالخلافة ، ـ ومن المؤكد أنهم ليسوا ممن ذمهم علي رضي الله عنه وذكرتهم مصادر التاريخ لتخاذلهم في القتال ـ إلا أننا لا نجد في أفكارهم ، ولا في مبادئهم ، ولا في معتقداتهم ولا رواياتهم وغيرهم من بقية المسلمين شيئاً مما ابتدعه وقال به دعاة التشيع المغرضين المعادين للإسلام ، والذين كانوا يثيرون الفتنة وينفخوا فيها كلما هدأت ، بل هم على النقيض منها ، وخير مثال لذلك :

- أجاز من خرجوا على عليّ رضي الله عنه وقد كانوا من جيشه وقاتلوا معه .

[١] بأن تكون الإمامة من غير قريش،والدليل على ذلك مبايعتهم لعبد الله ابن وهب الراسبي الأزدي إماما بعد أن خرجوا على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومنطقهم في ذلك هو مبدأ الشورى وليس الوصية بالإمامة .

والحقيقة التاريخية أيضا تنص على أنهم ليسوا أول من نادى بجواز الإمامة أو الخلافة من غير قريش ، فقد سبقهم الأنصار عندما أرادوا أن تكون الخلافة منهم حتى قال لهم أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء ولم يذكر لهم حديثًا ينص على وجوبها في قريش .

والواقع وإن كان جمهور أهل السُّنَّة أيد أن الإمامة من قريش ، ولكن لا يوجد هناك إجماع على ذلك فقد اعترض على هذا ابن حجر العسقلاني [١] ، ومال الإمام الجويني وغيره إلى عدم اشتراط النسب القرشي في كتابه « غياث الأمم » ص ١٦٣ ، وبعض المحدثين منهم محمد أبو زهرة في كتابه « المذاهب الإسلامية » ، واعتبر الأحايث الواردة مجرد أخبار لا تفيد حكماً ، واعتبرها البعض من باب السياسة الشرعية .

[٢] أجازوا الخروج على الإمام الجائر [٢] ، ومبدأ الخروج على الجورة ليس منحصراً فيهم فقط ، فإنه سمة عامة للقرن الهجري الأول ، كخروج الحسين بن عليّ رضي الله عنه ، ومن معه بالكوفة ، وكخروج أهل الحرة بالمدينة ،وخروج عبد الله بن الزبير في مكة ، كلهم على يزيد بن معاوية ، وثورة التوابين ، وخروج القراء والفقهاء على عبد الملك بن مروان .

---

(١) انظر : الإمامة العظمى عند أهل السُّنَّة والجماعة . ص ٢٨٤ . عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي . دار طيبة . السعودية ط ٢ . ١٤٠٩هـ .

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . ج١ . علي بن إسماعيل الاشعري (ت ٣١٢ أو ٣٢٤ هـ) تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٩٠ م .
الفرق بين الفرق . البغدادي . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية – بيروت .
الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، دار صعب ، بيروت .

[٣] وموقفهم من الصحابة وأمهات المؤمنين ، والترضي عليهم معروف خاصة من الشيخين ـ أبي بكر وعمر ـ ،وعائشة أم المؤمنين وحبهم ، وتفضيلهم على سائر الصحابة رضي الله عنهم .

[٤] ثم نجدهم يعتقدون أن الكذب كبيرة، بل ويكفر مرتكب الكبيرة المصرّ عليها عندهم .

ومن خطبة لأبي حمزة الشاري ـ من قادة الإباضية ـ نجده يسخر من قول دعاة التشيع بالرجعة والبعث قبل الساعة .

يقول فيهم : " فهم يؤملون الدول في رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة " (١) .

ولا نجد أثراً لشيء عندهم مما قال به من ابتدعوا التشيع في الإسلام ـ خاصة الاثنا عشرية ـ بعد أن تغلغلوا بين المسلمين حديثي العهد بالإسلام ، وضللوا بعض المسلمين ، وابتدعوا عقائد ومباديء للتشيع وألصقوها بالإسلام ـ والإسلام منها ومنهم براء ـ ، فنجدهم يبتدعون في الدين ، ويقولون بالوصية بالإمامة، والعصمة، والتقية، والرجعة، ويسبون الصحابة رضي الله عنهم ، بل ويكفرونهم ، ويرون ضرورة مخالفة المسلمين ، و ..... فاين ذلك من كافة المسلمين ؟ .

ومن أين لهم هذه الدعاوى الكاذبة ، ولم يقل بشيء منها من كانوا مع عليّ رضي الله عنه سواء من بايعوا معاوية بعد تنازل الحسن ومبايعته لمعاوية هو والحسين رضي الله عنهم وكانوا هم أغلب المسلمين ، أو سواء من رفضوا التحكيم وخرجوا على عليّ رضي الله عنه وظلوا منشقين على معاوية رضي الله عنه والدولة الأموية وحتى الدولة العباسية ، وبالطبع لم يقل بشئ من هذه الدعاوى الكاذبة من كانوا مع معاوية رضي الله عنه . وهؤلاء هم كل المسلمين وقتئذ ؛ فأين كان يختبيء هؤلاء المبتدعة الذين خرجوا

---

(١) حياة عمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الأولى ١٣٤ هـ ، ص ١٧٥ ، زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، مطابع النهضة ، سلطنة عمان .

على الإسلام والمسلمين ببدعة التشيع ؟!.

ونجدهم يختلفون مع أنفسهم في كل شيء ، فعلى سبيل المثال : نجد مذهب الزيدية من الذين تبعوا الشيعة الأول ـ أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في الصحابة هو الترضي عن أصحاب النبي ﷺ ، وقد كان في جيش علي رضي الله عنه المئات منهم .

وينقل ابن الوزير عن الإمام الكبير المنصور بالله ـ وهو من أئمة الزيدية الكبار باليمن ـ أنه قال في الرسالة الإمامية في الجواب عن المسائل التهامية :

(أما ما ذكره المتكلم عنا من تضعيف آراء الصحابة ، فعذرنا أنهم أشرف قدراً ، وأعلى أمراً أرفع ذكراً من أن تكون ضعيفة أو موازينهم في الشرف والدين خفيفة ، فلو كان كذلك لما اتبعوا رسول الله ﷺ ، ومالوا عن إلف دين الآباء والأتراب والقرباء إلى أمر لم يسبق لهم به أنس ولم يسمع له ذكر ، شاق على القلوب ، ثقيل على النفوس ، فهم خير الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده ، فرضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً . . . إلى أن قال الإمام الكبير المنصور بالله : فهذا مذهبنا لم نكتمه تقية ، كيف وموجبها زائل ، ومن هو دوننا مكاناً وقدرة يسب ويلعن ويذم ويطعن ؟! ، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء ، وهذا ما يقضي به علم آبائنا منا إلى عليّ عليه السلام . . . . . إلى أن قال : وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء بسب الصحابة رضي الله عنهم ،والبراءة منهم ، فهذا قد تبرأ من محمد ﷺ من حيث لا يعلم) .

هذا كلام إمام من أئمة التشيع "الزيدية" كالإمام المنصور بالله ، ولكن للأمانة العلمية يوجد في الزيدية من هو رافضي قح يقدم علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، بل ويسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومذهبه في الصحابة كمذهب الرافضة تماماً ، كالطائفة المشهورة المعروفة بـ"الجارودية " .

هذه الطائفة من طوائف الزيدية يعتقدون مذهب ومعتقد الإمامية أو الجعفرية أو الإثني عشرية في سب أصحاب النبي ﷺ ،وقال الإمام الشهرستاني في كتابه: (الملل والنحل) : (إن أكثر الزيدية طعنت في الصحابة طعن الإمامية) .

فأمر الخلاف بين المسلمين واضح ، فلم يكن بحال من الأحوال حول الإدعاءات التي أخذت تظهر تباعًا وقد ارتدى أصحابها ثوب التشيع ـ ممن تعمدوا إثارة الفتنة بين المسلمين ـ للتدليس على المسلمين .

هذه هي الحقيقة مختصرة ، وسوف نتتبع كذبهم وإظهار حقيقتهم .

وبداية يجب أن نفصل فصلاً واضحاً بين عامة الشيعة ممن غُرر بهم أو من تبعهم بجهل أو بدافع عاطفة الحب لأهل البيت قديماً وحديثاً وبين هؤلاء المغرضين الذين يكيدون للإسلام وقد ابتدعوا كذباً وافتراءً ما الإسلام منه براء ، وهم لا علاقة لهم بأهل البيت ، وهذا ما سيكشفه هذا البحث بإذن الله تعالى .

والله أسأل العفو والمغفرة .